معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

11

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2000 - 1421

1391571
islm, ref
v. 11

يحمل اسم تمزليت. وعلى غرار ما كانت تقوم به الزوايا من أدوار مختلفة، فإن تمزليت أصبحت مركزاً دينياً تلتقي فيه القبائل، كما تؤمن القوافل التجارية المارة بالطريق التجاري الساحلي. إلا أن صيتها ومكانتها اعتراها بعض الانكماش بعد وفاة مؤسسها وتراجع نفوذها لصالح زاوية تازروالت.

ومما يبين مدى الحظوة الكبيرة التي تتمتع بها القبيلة، أن المخزن العلوي أصدر في حق الزاوية ولصالح أسرة سيدي عبد الرحمان الخنبوبي ظهائر التوقير والاحترام منذ عهد المولى الرشيد، وتجددت عدة مرات، ومازال أحفاد الشيخ يحتفظون بها. أما عن علاقتها بالقبائل المجاورة، فتتحكم فيها الشروط الاقتصادية والبشرية، وتتأكد ملامح هذه العلاقة في أن مصير الخنابيب ارتبط بمدى تبعيتها لاگلو، لهذا تصنف دائما ضمن أراضي إيالة شيوخ وقياد هذه القبيلة.

أحمد الخنبوبي

* * تفرّعت الخنابيب إلى أفخاذ منها طائفة في الصحراء في نواحي ورزازات تسمى زاوية القاضي، ومنها طائفة في الجريفات بآسفي والوالدية ومنها بعبدة أي دوار الشلوح. والخنابيب الذين استقروا بعبدة كانوا قد هاجروا مرغمين على ذلك من طرف الاستعمار الفرنسي وذلك لأن المجاهد الهيبة بن ماء العينين لما جاء هو وأتباعه إلى الخنابيب حيث حط رحاله سأل عمن يتسم بالعلم فدلوه على أحمد بن فارس الخنبوبي فصاحبه هذا الأخير إلى مراكش، ولما فشل الهيبة في هذه المدينة، أقْصِي أحمد الخنبوبي إلى عبدة هو وعشيرته وكان تحت رعاية عيسى بن عمر العبدي.

ويشهد الماركي دي سيكونزاك عندما زار جنوب المغرب في بداية القرن العشرين وزار الخنابيب أن دواويرها تتكون من 150 أسرة تملك 100 بندقية و 15 فرس. ويقول سيكونزاك بأنهم مرابطون.

ومن المتداول أنهم جاؤوا من غيغاية بأحواز مراكش من زاوية سيدي فارس بن لحسن وأن سلفهم عبد الرحمن الخنبوبي الذي توجد زاويته بتمزليت بالخنابيب كان قد انتدبه شيخه فارس بن لحسن *الإعلام*، ص 14، ج 10 *ممتع الأسماع*، ص 161، وأعطاه لواء للدفاع عن الثغور التي توجد بتمزليت وقد استقبلته قبائل ماسة وأكلو ورحبت به ثم أقطعت له أرضاً ووهبت له أراضي مسقية.

والغالب عن الظّنّ أن الخنابيب من أصل عربي شريف جاؤوا من فاس بل هربوا منها خوفاً من الدلائيين، (*الزاوية الدلائية* ... ص 229). فرحلوا إلى جنوب المغرب حيث استقروا. ويؤكد ذلك مارت وإدموند گوفيون في كتابهما كتاب *أعيان المغرب الأقصى* (ص. 445. 446. 447) إذ يقولان بأن السلف عبد الرحمن بن أحمد الخنبوبي كان يقطن بحي الطالعة بفاس وأن جده هو أحمد بن إدريس. وقد لعب الخنابيب دوراً هاماً في إسلام عدد من القبائل السوسية.

ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 10 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية، فاس، 1989.

E. Gouvion, *Kitab Adâyane al-Maghrib 'l-Akça, Livre des Grands du Maroc*, Paris, 1939 ; D de Segonzac, *Au cœur de l'Atlas*, Paris, 1910.

أحمد بومزگو

خناثة بنت بكار، زوج السلطان المولى إسماعيل. تشغل المرأة المغربية حيزا ضيقا من كتب التراجم، ومع ذلك جاء هذا الحيز حافلا بالأعمال المجيدة من جهاد واحسان وتحبيس الممتلكات والقيام بأعمال عمرانية وخوض الصراعات السياسية، وهذه الخصال تجتمع في الأميرة خناثة بيت بكار بن عبد الله بن علي المغافري، فكان انتقالها من أقصى الجنوب وزواجها بالسلطان المولى إسماعيل حدثا تاريخيا وسجلا زاخرا بالمهام والعطاء.

ظلت الوحدة الترابية المغربية ثابتة ومتواصلة من أقصى الشمال إلى تخوم السودان فامتزج دم المغاربة في مختلف الأقاليم بالمصاهرة. وكان للزيارة التفقدية للسلطان المولى إسماعيل سنة 1089 / 1678 إلى أقاليم الجنوب أثر فعال وتأكيد لهذه الوحدة وتجديد للبيعة والولاء واقترانها بمصاهرة الشيخ بكار المغفري للسلطان. وقد ذكر المؤرخ أحمد الناصري هذه الزيارة فقال "فقدمت عليه وفود العرب هناك من أهل الساحل والقبلة ومن دليم وسوس والمغافرة وودي وغيرهم من قبائل معقل وأدوا طاعته، وكان في ذلك الوفد الشيخ بكار بن عبد الله والد خناثة أم السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل، فأهدى الشيخ إلى السلطان ابنته خناثة المذكورة، وكانت ذات جمال وعفة وأدب فتزوجها السلطان رحمه الله".

وهكذا دخلت القصر الملكي في اعتزاز ورفعة فهي زوج ملك وسليلة حسب ونسب، فأبوها بكار سيد قومه. وقد حلاهما المؤرخ محمد القادري في *نشر المثاني* أفضل تحلية وذلك لما طلبت الأم من ابنها الإذن لها بالتوجه إلى الحج فقال :

"السيدة الوجيهة الفاضلة بنت السيد الوجيه الفاضل الحاذق في الأخيار، ومن لاذ به يجار ولا يصل إليه عار، حتى في الفيافي والقفار، سيد قومه وعميدهم وفارسهم ومانعهم، الشيخ بكار المغفري..."

أدت الأميرة فريضة الحج سنة 1143 صحبة حفيدها الأمير سيدي محمد بن عبد الله البالغ من العمر عشر سنوات، وضم الوفد عدداً من رجالات المخزن منهم القاضي أبو القاسم العميري وشيخ الركب عبد الخالق عديل والوزير كاتب الرحالة عبد القادر الجيلالي الإسحاقي وقد أبرزت هذه الرحلة الصفات الحميدة للأميرة : تقوى وعلم وإحسان وعطاء من لا يخشى الفقر وكياسة ومظاهر حضارية تلفت

أنظار الأقاليم والبلدان التي يجتازها ركبها، فخلفت صدى طيبا في أوساط الشرفاء والعلماء والحكام وشيوخ العشائر، فأينما حلت إلاّ وكانت محط ترحيب وحسن استقبال لما لها من أياد بيضاء احتساباً لله، فتعددت عطاياها من مال وملابس وأوقاف، فقد خصت شرفاء أهل الينبع الذين وفدوا عليها لتهنئتها بسلامة قدومها بمائتي مثقال ذهبا مطبوعة وهو مبلغ كان يصلهم من زوجها المرحوم المولى إسماهيل من صرة الحج فزادت عليه مائة مثقال ذهبا مطبوعة هبة منها وشملت هداياها بعض المحتاجين ومن هم أهل للإكرام وعملت كذلك على شراء داربمكة من أولاد العلامة أبي محمد عبد الله بن سالم البصري وحبستها على الطلبة الذين يختمون *القرآن* كل يوم ويدرسون *صحيح البخاري* وعينت ناظرا لها وتضمنت رحلتها هذه وصف إقامتها بالحرمين الشريفين والثناء عليها ومدحها وإهداء الكتب لها.

نشأت خناثة في بيت علم وأدب، أسرةً وعشيرةً وحصّلت العلوم في كنف والدها ووجدت في خزانة زوجها السلطان المولى إسماعيل ما يشفي غليلها من المعارف، فاستحقت بأن توصف بالفقيهة والأديبة، فكانت قراءتها قراءة تحقيق وتطرير وإحالة على مصادر أخرى. وقد وقف المؤرخ محمد أكنسوس في كتابه *الجيش العرمرم* على خطها على هامش *الإصابة في معرفة الصحابة* لابن حجر العسقلاني. وهذه الملاحظة العلمية تتبعها عبد الهادي التازي في كتابه *أمير مغربي بطرابلس* أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي فقال : "وقد تمكنت من الوقوف فعلاً على بعض طررها على المجلد الثاني والثالث والرابع بالمكتبة الملكية بالرباط". ووجد في هذه الطرر تركيزاً وسعة اطلاع. ولعل مشاركتها الفقهية مكنتها من شراء الدار بمكة واقناع القاضي بإجراء عقد البيع والتحبيس رغم وجود مَنْ يعارض في بيع وشراء العقار بمكة. ولم يفت بعض الفقهاء المتأدبين بمكة وهو إمام المقام الخليلي محمد بن علي الحسيني الشافعي الطبري أن ينظم فيها قصيدة مطلعها :

غَنّى على عود السعود هزاري وشدا على الأوتار بالأوطار

للأميرة خناثة من الحنكة وسعة الأفق السياسي ما يندر مثيله حتى عند كبار رجالات المخزن. وفي هذا السلوك مفخرة للمرأة المغربية فهي المستشارة لزوجها ولولدها، وهي ذات فكر ثاقب وخبرة واسعة بأمور السياسة وتقلبات أحوال السياسيين والقادة، وهي العارفة بأحوال البلاد والمطلعة على العلاقات المغربية الخارجية، فحياتها الزوجية تصل إلى نصف قرن وامتدت حياتها بعد وفاة زوجها لفترة تبلغ ست عشرة سنة بين مد وجزر وثورات ومناورات العبيد والقبائل وشيعة هذا الأمير وذاك الأمير للتسابق على الملك، فتصل تجربتها السياسية واحتكاكها بالعمل السياسي إلى ست وستين سنة تخللتها المشورة والتدخل لإصلاح ذات البين بين فريقين من الفرقاء أو إبداء النصح والتنبيه لأمر هام أو مراسلة توقير ودعم. ولعل مرتبتها العليا في الدولة المغربية احتفظت لها بمراسلات دبلوماسية ترمي لتوطيد العلاقات بين المغرب وبعض الدول الأوربية، وكذا لتحرير الأسرى. وتبرز شخصيتها الفذة في مواجهة الأحداث بعد وفاة زوجها فنراها صامدة مصرة على التمسك بمبادئها وسط الإعصار السياسي فتُكاتب العلماء وتعقد التحالف بين الأوداية والمغافرة وبعض القبائل لمناصرة ولدها المولى عبد الله، فكان تدخلها عن دراية مكتسبة باتصالها الوثيق بزوجها واطلاعها الواسع على شؤون البلاد. ولعل شهادة الوزير الإسحاقي خير شاهد على شخصيتها السياسية التي لفتت الأنظار، فقال عنها :

"وكانت له وزيرة صدق وبطانة خير تأمره بالخير وتحرضه عليه وتتوسط في حوائج الناس ويقصد بابها أهل الحياء والحشمة..."

وحتى رحلتها الحجية لم تكن تخلو من مظاهر سياسية حيث عاينت أوضاع الأقاليم المغربية التي مرت بها وهي مسافرة في ركب يجسد أبهة العظمة والملك سواء في ملابس الوصفان أو ألعاب الفروسية والبارود أو زي رجال المخزن أو العطاء بسخاء وكذلك في استقبال حفيدها مع حاشيته من طرف الشخصيات البارزة في البلدان العربية، وامتد اهتمامها للمؤسسات الدينية حيث نقف لها على مراسلة إلى الباشا موسى مؤرخة في منتصف شوال سنة 1145 تحثه على الاعتناء بالزاوية البوسُنية بقبيلة احمر.. "وإني أؤكد عليك أشد التأكيد زاوية المولى الصالح السيد محمد بوسُنة ألاّ تترك مَنْ يترامى عليها أو يطوف بساحتها، فالزاوية تركها سيدي محمد بوسنة بيدي وأنا الوصية عليها، وإياك وإياك، فاحترمها بما تُحترم به مثيلاتها ووقِّرها"

ولم تزدها الأزمة بين أولاد السلطان المولى إسماعيل إلا صلابة وثباتا على المبدأ في تزكية ولدها الوحيد المولى عبد الله سلطانا على البلاد، فهذه رسالتها لأهل وجدة بتاريخ 13 محرم 1149 / 24 ماي 1736 تقول فيها :

"فلا يهمكم شيء فأنتم قد عرفنا محبتكم ونصيحتكم لمولانا أمير المؤمنين فلا يضركم فعل السفهاء، فيد الله وأيدينا فوق أيديهم، ولا تخشوا من أحد سواء غربتهم أو شرقتهم، ومن تعرض لكم فلا يلوم إلا نفسه، سواء كان قريبا أو بعيدا..."

عاشت خناثة وسط زوبعة سياسية أتت على الأخضر واليابس ومزقت البلاد شيعا ولم تراع لها الأزمة السياسية مكانتها السامية ولا شيخوختها، فظلت صامدة مناصرة لابنها السلطان المولى عبد الله الذي استطاع في النهاية أن يثبت في الحكم ويعيد الاستقرار للبلاد. واعتبارا لشخصيتها البارزة عانت من التضييق عليها والتعرض للنهب والاعتقال على يد ربيبها السلطان علي الأعرج بن إسماعيل الذي استولى على الحكم مكان ابنها سنة 1147.

فوجد في زوج أبيه الأميرة خناثة كبش فداء لما كان لها من أنصار وما تخفيه من كنوز والده وولدها حسب زعمه، فاقتحم عليها دارها واستولى على ما فيها من متاع بأمر من الباشا سالم الدكالي وزج بها في السجن مع حفيدها سيدي محمد بن عبد الله، فاستنجدت بالعلماء طالبة حكم الشرع ومستعجلة إطلاق سراح حفيدها لأنه دون الحُلُم ولم يقم بأي عمل يستوجب سجنه، فأطلق سراح الأمير وبقيت هي في السجن مدة من الزمن. "وها أنا في السجن حتى يحكم الله بيني وبينه".

ثم دارت الدائرة على السلطان علي الأعرج وعاد مولاي عبد الله إلى الحكم سنة 1149 بعدما قضى قرابة ثلاث سنوات عند أخواله بوادي نون، فاسترجعت الأم حريتها ونشاطها السياسي، وما كادت تهنأ بالاستقرار حتى خلع العبيد ولدها من جديد، فأحست بما يدبرونه لها من مكايد فخرجت من مكناسة يوم الخميس 30 ربيع الأول 1154 ونزلت بفاس وسارعت إلى مواجهتهم بتوطيد التحالف بين أقاربها الأوداية والمغافرة وأنصار ولدها من الفاسيين والقبائل المؤيدة له فكانت له خير عون حيث حقق النصر على المتمردين واسترد عرشه.

وهكذا نجد لها حضوراً علمياً واجتماعياً وسياسياً خلال عدة عقود تضمها الوثائق المغربية بخيرها ومحنها وتوجيهاتها ومراسلاتها إلى أن التحقت بالرفيق الأعلى سنة 1155 / 1742 ودفنت بمقبرة الأشراف بفاس الجديد.

رحلة الإسحاقي، مخطوط خ. ح. رقم 1428 ز ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج. 3 : 335 ـ 336 و4 : 38، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. أ. العماري ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، ج. 1، تح. أ. بن يوسف الكنسوسي ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 7 ؛ ع. الرحمن بن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3 و5 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 428 و429، تح. إحسان عباس ؛ ع. الله كنون، *النبوغ المغربي* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في عهد العلويين*، ص. 243 ؛ ع. الهادي التازي، *أمير مغربي في طرابلس : جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي* ؛ *مذكرات من التراث المغربي*، ج. 4 : 86 ؛ ع. الحق المريني، *دليل المرأة المغربية*، ص. 11 ـ 12.

M. Morsy, *Les Africains*, T. 1.

محمد ماگامان

الخناشفة، بطن من أولاد يحيى بن معبد من قبيلة بني حسن بإقليم القنيطرة. ولما أحصت سلطات الحماية دواويرهم وخيامهم جعلتهم في مطلع القرن العشرين تحت سلطة إبراهيم بن الحسن بن بوگرين الزهاني. كان عدد أسرهم أربعمائة وتسع وأربعين خيمة مفصلة كما يلي :

الخيام

- أولاد عيسى والرگاگنة والرّزازگة 130
- القاسميون وأولاد الطاهر وأولاد الفقيه وأولاد بلعيد وأولاد علي مَحمد والسليتات 203
- الحوارثة أولاد زيد والوحاحدة وأولاد مالك 116

وقبل ذلك كان السلطان مولاي الحسن عين عليهم قواداً من الخناشفة وهم :

- الحاج رزوق تولى سنة 1290 وتوفي سنة 1300 / 1883.
- العربي بن الفقيه عين قبل سنة 1310 واستمر مدة.
- الحاج عمر بن الفقيه وكان سنة 1324 قائداً.
- قاسم بن جلول وكان سنة 1327 و1328.

م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن*، 1860 ـ 1912، مخطوط ؛ *الوثائق الملكية والبنسعيدية*.

Villes et tribus du Maroc, Béni Ahsen.

مصطفى بوشعراء

الخُناق أو الدفتريا، من كلمة Diphtera بمعنى الغشاء، سماه العرب الخُناق لأنه يميت بالاختناق، ويسمى أيضاً الذُبحة. عرفه الأطباء القدامى بأنه ورم في الحلق والمريء وعضل الحنجرة بحيث يصعب نفوذ الهواء المستنشق. وفي التعريف الحديث هو مرض خطير يتميز بوجود أغشية كاذبة ضاربة إلى البياض على مخاط الحلق والحنجرة، وأحيانا على مخاط الفم أو المنخر أو العين.

يسمى الخُناق عند المغاربة "الخنّاگية"، وهي علة لم نتمكن من العثور على المعلومات حولها، وحول عثيانها في المغاربة خلال الفترات السابقة لسنة 1912، وان كان ذكر الخناق يتردد أحيانا لدى بعض الأخباريين أمثال ابن عذاري، ولكن تحت اسم الذُبحة (من ذلك مثلاً ما ورد في الجزء الأول من *البيان المغرب* بصدد وفاة هشام بن عبد الملك)، وهو الاسم الذي يصفه به الطبيب بن زهر، كما لم نجد ذكراً لهذا الداء في أولى المصنفات النزولوجية التي كتبت عن المغرب في بداية القرن العشرين ككتاب الطبيب راينو Raynaud عن *الصحة والطب بالمغرب* الصادر سنة 1902، ومقال الدكتور وايزجربير Wiesgerber عن الأمراض وعلاجها بالمغرب سنة 1903، ومقال الدكتور هرزن Herzen *ملاحظات وتأملات في نزولوجيا المغرب*، سنة 1911، بل إن الرعيل الأول من الأطباء الذين باشروا مهمة التصدي للأمراض والأوبئة مع بدء الحماية لاحظوا أن داء الخناق شبه منعدم بالمغرب، واحتدم كثير من النقاش حول مسألة ما إذا كان هذا الداء متوطنا بالبلاد، أم أن طائفه ألم بالناس على إثر وصول موجات الوافدين من أوربا بعد استتباب أمر الحماية.

ودون الدخول في تفاصيل ذلك النقاش، نشير إلى أن الخناق، كان يعيث في سكان المغرب خلال فترة الحماية، حسب إحصائيات على الأقل منذ سنة 1928 فنعدد الحالات في المدن البلديات مثلاً هو 397 سنة 1928 و822 سنة 1953. وكان المغاربة يعالجون الخناق ببعض الوصفات الواردة